الاستقراء الصرفي عند ابن الحاجب بين النظرية والتطبيق

د/ مُحَمَّد محمود عبد القادر على، أستاذ مساعد النحو والصرف والعروض
قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، كلية التربية، جامعة ٦ أكتوبر
mkader.edu@o6u.edu.eg

يمثل منهج الاستقراء في الفكر الصرفي خاصة، والبحث العلمي عامة، ظاهرة متميزة، تستدعى الدرس والتحقيق، ومعالجتها من خلال تحديد ملامحها، بكامل أبعادها، بغية الوقوف على حقيقة هذا المنهج ومكانته في أصول التفكير الصرفي عند ابن الحاجب تنظيرًا وتطبيقًا.

لذلك وسم هذا البحث بعنوان:" **الاستقراء الصرفي عند ابن الحاجب بين النظرية والتطبيق**"

وقد اقتضت طبيعة هذا البحث الاعتماد على المنهج التاريخي من خلال تتبع دلالة المصطلح في الدرس اللغوي والصرفي والنحوي، والمنهج الوصفي بعرض الظاهرة في أصول التفكير الصرفي عند ابن الحاجب، والمنهج التحليلي بالتعليق والتصنيف والخروج بأهم النتائج والتوصيات، ولهذه الدراسة تساؤلات دفعت إليها، وأهداف سعت إلى تحقيقها، ودراسات سابقة كشفت عن مدى ما تضيفه هذه الدراسة من خلال ما تعالجه في محاور أربعةٍ تسبقها مقدمة تحدد معالمها وتنتهي بخاتمة تبرز أهم نتائجها وما توصلت إليه من توصيات. وتمثلت محاورها الأربعة فيما يأتي:

١. المحور الأول: مفهوم الاستقراء في التراث العربي عند النحويين والصرفيين والفقهاء والأصوليين.
٢. المحور الثاني: موقف ابن الحاجب من الاستقراء الصرفي (المفهوم والتطبيق)
٣. المحور الثالث: مجالات الاستقراء الصرفي عند ابن الحاجب.
٤. المحور الرابع: مواضع الاستقراء الصرفي عند ابن الحاجب.

الكلمات المفتاحية: الاستقراء، الصرف، ابن الحاجب، مجالات، قضايا، منهج.

The Morphological Induction of Ibn Al -Hajib Between Theory and Application

Dr./ Mohamed Mahmoud Abdalkader Ali
Assistant Professor of Grammar, morphology and Prosody
Department of Arabic Language and Islamic Studies,
Faculty of Education,6th of October University
mkader.edu@o6u.edu.eg

Abstract:
The nature of this research required relying on the historical approach by tracing the significance of the term in the linguistic, morphological

and grammatical studying. in addition, the descriptive approach to present the phenomenon in the principles of morphological thinking of Ibn al –Hajib. Also, the analytical approach to comment, classify and conclude with the most important results and recommendations. This study has questions that led to it, and goals that sought to its achievement, and previous studies revealed the extent of what this study adds through what has been discussed in four axes preceded by an introduction defines its features and ends with a conclusion that highlights the most important results and recommendations. The four axes were the following:

1. The first axis: the concept of induction in the Arab heritage of grammarians, morphologists, jurists and fundamentalists,
2. The second axis: Ibn al -Hajib's position on the morphological induction (concept and application)
3. The third axis: the areas of morphological induction of Ibn Al -Hajib.
4. The fourth axis: the issues of the morphological induction of Ibn al -Hajib.

Key words: induction, morphology, Ibn Al -Hajib, fields, issues, approach.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين. وبعد،

فإن الاستقراء في الفكر الصرفي خاصة، والبحث العلمي عامة، يمثل ظاهرة متميزة، تستدعى الدرس والتحقيق، ومعالجتها من خلال تحديد ملامحها، بكامل أبعادها، بغية الوقوف على حقيقة هذا المنهج ومكانته في أصول التفكير الصرفي عند ابن الحاجب تنظيرًا وتطبيقًا.

ولقد استخدم النحويون والصرفيون الاستقراء من الناحية التطبيقية حتى يكاد لا يخلو أي مؤلف من مؤلفاتهم منه. ولكنه لم يلق عناية من الناحية التنظيرية، فلم نجد مؤلفًا واحدًا لعلماء العربية يتناول منهجية الاستقراء النحوى أو الصرفى أو المعجمى على الرغم من توافر ظاهرة الاستقراء لكلام العرب في بطون المؤلفات النحوية والصرفية والمعجمية واهتمامهم بالجانب التطبيقى للمنهج الاستقرائى .

ومن ثم فإن للاستقراء أهمية كبرى في الدراسات اللغوية النحوية والصرفية والمعجمية؛ فقد استعان به النحويون والصرفيون في التقعيد النحوى والصرفى من خلال استقراء كلام العرب، وبنوا عليه الكثير من أحكامهم وتقسيماتهم ومصطلحاتهم وتعريفهم.

قال ابن جنى موضحًا أهمية علم التصريف ومدى حاجة اللغويين إليه في الاستدلال باستقراء لغة العرب:" يحتاج إليه جميع أهل العربية، أتم حاجة، وبهم إليه أشد فاقة؛ لأنه ميزان العربية، وبه تعرف أصول كلام العرب من الزوائد الداخلة عليها، ولا يوصل إلى معرفة الاشتقاق إلا به، وقد يؤخذ جزء من اللغة كبير بالقياس على كلام العرب، واستقراء لغتهم، ولا يوصل إلى ذلك إلا من طريق التصريف؛ وذلك نحو قولهم :إن المضارع من فَعُل لا يجيء إلا على يَفْعُل بضم العين، ألا ترى أنك لو سمعت إنسانا يقول: كرُم يكرَم بفتح الراء من المضارع، لقضيت بأنه تارك لكلام العرب، سمعتهم يقولون: يكرم أو لم تسمعهم؛ لأنك إذا صح عندك أن العين مضمومة من الماضي قضيت بأنها مضمومة في المضارع أيضا قياسا على ما جاء. ولم تحتج إلى السماع في هذا ونحوه، وإن كان السماع أيضا مما يشهد بصحة قياسك .ومن ذلك أيضا قولهم :إن المصدر من الماضي إذا كان على مثال أَفْعَلَ يكون مفعلا –بضم الميم وفتح العين –نحو: أدخلته مُدْخَلاً، وأخرجته مُخْرَجًا، ألا ترى أنك لو أردت المصدر من أكرمته على هذا الحد لقلت :مُكْرَمًا قياسًا، ولم تحتج فيه إلى السماع، وكذلك قولهم :كل اسم كانت في أوله ميم زائدة مما يُنقَل ويُعمَل به فهو مكسور الأول، نحو مِطْرَقة ومِرْوَحة، إلا ما استُثني من ذلك. فهذا لا يعرفه إلا من يعلم أن الميم

زائدة، ولا يعلم ذلك إلا من طريق التصريف، فهذا ونحوه مما يستدرك من اللغة بالقياس "[(١)]، ومن ثم فقد ربط ابن جنى بين القياس واستقراء كلام العرب. وضرورتهما في التقعيد النحوى والصرفى لذلك وسم هذا البحث بعنوان:" **الاستقراء الصرفي عند ابن الحاجب بين النظرية والتطبيق: عرض وتحليل"**

وقد اقتضت طبيعة هذا البحث الاعتماد على المنهج التاريخي من خلال تتبع دلالة المصطلح في الدرس اللغوي والصرفي والنحوي، والمنهج الوصفي بعرض الظاهرة في أصول التفكير الصرفي عند ابن الحاجب، والمنهج التحليلي بالتعليق والتصنيف والخروج بأهم النتائج والتوصيات، ولهذه الدراسة تساؤلات دفعت إليها، وأهداف سعت إلى تحقيقها، ودراسات سابقة كشفت عن مدى ما تضيفه هذه الدراسة من خلال ما تعالجه في محاور أربعةٍ تسبقها مقدمة تحدد معالمها وتنتهي بخاتمة تبرز أهم نتائجها وما توصلت إليه من توصيات.

أولاً: مشكلة البحث وتساؤلاتها التي دفعت إلى دراستها:

تمثلت مشكلة الدراسة في وجود ظاهرة الاستقراء في أصول التفكير الصرفى والنحوى عند ابن الحاجب خاصة في كتابه الشافية، وعدم تطرق الباحثين بالدراسة لهذه الظاهرة عنده. ونتجت عن هذه المشكلة التساؤلات الآتية:

ما مفهوم الاستقراء في التراث العربي عند النحويين، والصرفيين، والفقهاء والأصوليين؟

١- ما موقف ابن الحاجب من الاستقراء الصرفي على المستويين النظرى والتطبيق؟

٢- ما مجالات الاستقراء الصرفي عند ابن الحاجب؟

٣- ما مواضع الاستقراء الصرفي عند ابن الحاجب؟

ثانيًا: أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على كيفية تعامل النحويين والصرفيين مع المنهج الاستقراء على المستويين التنظيري و التطبيقى؛ ولذا يمكن حصر أهدافها فيما يأتي"

١- بيان مفهوم الاستقراء في التراث العربي عند النحويين، والصرفيين والفقهاء والأصوليين.

٢- الكشف عن موقف ابن الحاجب من الاستقراء الصرفي على المستويين النظرى والتطبيق

٣- عرض وتحليل مجالات الاستقراء الصرفي عند ابن الحاجب.

(١) ابن جني، المنصف، شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني، ١/ ٢

٤- الوقوف على مواضع الاستقراء الصرفي عند ابن الحاجب.

ثالثًا: الدراسات السابقة ذات الصلة بموضوع البحث:

وثمت دراسات سابقة تناولت المنهج الاستقرائى عامة، مثل:دراسة منهج الاستقراء في الفكر الإسلامي رسالة دكتوراه بكلية دار العلوم جامعة٦ أكتوبر عام ١٩٧٨،أعدها:عبدالزهرة البندروقد طبعت بمكتبة دار الحكمة بالقاهرة، عام(١٩٩٢م). وتواجد دراستان تناولت إحداهما الاستقراء النحوى بعنوان (الاستقراء النحوى وعلاقته بالبحث العلمى ،أعدها كل من: ماهل، فضل الله النور على، والصديق، مُحَمَّد عبدالقادر، ونشرت بمجلة لعلوم الإسلامية والبحوث الإسلامية، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، معهد العلوم والبحوث الإسلامية، مج/ ١٩، ع، ٢، (٢٠١٨م)، و أخراهما : في الاستقراء الصرفى بعنوان (الاستقراء الصرفى، أعدها رضا هادى حسونة، ونشرت بمجلة الأستاذ للعلوم الإنسانية والاجتماعية، كلية التربية، جامعة بغداد، العراق، العدد: ٢٠٠،عام (٢٠١٢م) و(في مدى علمي) لم أجد من الباحثين من تناول ظاهرة الاستقراء الصرفى عند ابن الحاجب، وقد وجدت هذه الظاهرة متأصلة في أصول التفكير النحوي عنده، خاصة في كتابه الشافية .

رابعًا: محاور الدراسة: جاءت هذه الدراسة في أربعة محاور تمثلت فيما يأتي:

المحور الأول: مفهوم الاستقراء في التراث العربي عند النحويين والصرفيين والفقهاء والأصوليين.

المحور الثاني: موقف ابن الحاجب من الاستقراء الصرفي (المفهوم والتطبيق)

المحور الثالث: مجالات الاستقراء الصرفي عند ابن الحاجب.

المحور الرابع: مواضع الاستقراء الصرفي عند ابن الحاجب.

وفيما يأتي عرض وتحليل لهذه المحاور الأربعة:

المحور الأول: مفهوم الاستقراء الصرفي لغة واصطلاحًا عند النحويين والصرفيين والفقهاء والأصوليين

أولاً: الاستقراء لغة:

الاستقراء في اللغة مصدر الفعل الثلاثى المزيد (استقرى، يستقرى ، استقراءً)، وهو مشتق من الفعل الثلاثى المجرد(قرى ، يقر، قروًا) ويقصد به التتبع المؤدى إلى المعرفة،قال الخليل بن أحمد الفرهيدى: " والقَرْوُ :كل شيء على طريقة واحدة. وقَرَوتُ إليهم اقرُو قَرْواً أي قصدت نحوهم... وفلان يقتري رجلاً بقوله، ويقتَري مسلكاً ويَقرُوه أي يتبع. ويقتري أيضا ويستقريها ويَقرُوها إذا سار فيها ينظر حالها وأمرها. وما زلت أستقري هذه الأرض قَرْيةً قَرْيةً [٢]" قال ابن سيده: " وقرا الْأَمر، واقتراه :تتبعه.وقرا الأَرْض قرواً، واقتراها، وتقراها، واستقراها :تتبعها أَرضًا أَرضًا وَسَار فِيهَا ينظر حَالهَا وامرها.قَالَ اللحياني :قروت الأَرْض: سرت فِيهَا، وَهُوَ أَن تمر بِالْمَكَانِ ثمَّ تجوزه إِلَى غَيره، ثمَّ إِلَى مَوضِع آخر.وقروت بني فلَان، واقتريتهم، واستقريتهم :مَرَرْت بهم وَاحِدًا وَاحِدًا، وَهُوَ من الإتباع، وَاسْتَعْملهُ سِيبَوَيْهِ فِي تَعْبِيره، فَقَالَ فِي قَوْلهم :اخذته بدرهم فَصَاعِدا لم ترد أَن تخبر أَن الدِّرْهَم مَعَ صاعد ثمن لشَيْء، كَقَوْلِك :بدرهم وَزِيَادَة، وَلَكِنَّك اخبرت بِأَدْنَى الثّمن فَجَعَلته اولا، ثمَّ قروت شَيْئا بعد شَيْء لأثمان شَتَّى(٣)."

ويتضح من النصوص اللغوية أن الاستقراء هو دلالة التفحص، ودقة الملاحظة؛ لتحديد خصائص الشيء.

ثانيًا: الاستقراء اصطلاحًا عند النحويين والصرفيين.

لقد ذكر سيبويه استقراء كلام العرب في قوله: " واعلم أن العرب قد تستغني بالشيء "عن الشيء حتى يصير المستغنى عنه مسقطًا من كلامهم البتة.فمن ذلك استغناؤهم بترك عن "ودع " و "وذر ."فأما قراءة بعضهم "ما ودَعك ربك وما قلى " وقول أبي الأسود "حتى وَدَعه " فلغة شاذة[٤]"

ويقصد بالاستقراء الصرفى تتبع أبنية الكلمة وتصريفاتها في اللغة العربية، والخروج بنتائج

---

(٢) الفراهيدى، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت/ ١٧٠هـ) ،كتاب العين، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، القاهرة، ٢٠٣/٥

(٣) ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ] المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق : عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط:١، (٢٠٠٠م) ٥٤٦/٦

(٤) ابن جنى ، أبو الفتح عثمان الموصلي (ت ٣٩٢هـ) ، الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١/ ٢٦٧

تؤدى إلى حكم كلى يصلح تطبيقه على ظاهرة لغوية جزئية، من خلال استقرائها في اللغة وتتبعها بدقة، قال الخوارزمي (ت/ ٣٨٧هـ):" الاستقراء هو تعرف الشيء الكلي بجميع أشخاصه يقال : استقرى فلان القرى وبيوت السكة إذا طافها ولم يدع شيئاً منها" (٥)

قال ابن جنى (ت/ ٣٩٢ هـ) مثبتًا أن النحو بالمفهوم العام يشتمل على بناء الجملة وبناء الكلمة: " هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره كالتثنية والجمع والتحقير والتكسير والإضافة والنسب والتركيب وغير ذلك ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة فينطق بها وإن لم يكن منهم وإن شذ بعضهم عنها رد به إليها(٦)" وأشار ابن جنى إلى المنهج الاستقرائي الذى اتخذه النحويون والصرفيون العرب في دراسة علم النحو والصرف فقال:" إنما هو علم منتزع من استقراء هذه اللغة" (٧)ي

وذكر ابن جنى أهمية إقامة الدليل من خلال النظر والتدبر في اللغة فقال: " وليس ينبغي أن يتخطى إلى النظر في هذه المسائل من لم يُحكِم الأصول قبلها، فإنه إن هجم عليها غير ناظر فيما قبلها من أصول التصريف الموطئة للفروع، لم يحظ منها بكبير طائل، وصعبت عليه أيما صعوبة، وكان حكمه في ذلك حكم من أراد الصعود إلى قُلة جبل سامق في غير ما سبيل، أو كجازع مفازة لا يهتدي لها بلا دليل"

وقدر عرف الجرجانى في التعريفات الاستقراء بأنه " الحكم على كليٍّ بوجوده في أكثر جزئياته؛ لأن الحكم لو كان في جميع جزئياته لم يكن استقراءً، بل قياسًا مقسمًا، ويسمى هذا : استقراء؛ لأن مقدماته لا تحصل إلا بتتبع الجزئيات كقولنا :كل حيوان يحرك فكه الأسفل عند المضغ؛ لأن الإنسان والبهائم والسباع كذلك، وهو استقراء ناقص لا يفيد اليقين لجواز وجود جزئي لم يستقرأ، ويكون حكمه مخالفًا لما استقرئ كالتمساح؛ فإنه يحرك فكه الأعلى عند المضغ.(٨)"

ويتضح من تعريف الجرجانى أن الاستقراء نوعان استقراء تام يقصد به عصر جميع الجزئيات

(٥) الخوارزمى، مُحَمَّد بن أحمد بن يوسف، أبو عبد الله، الكاتب البلخي (ت: ٣٨٧هـ)، مفاتيح العلوم، تحقيق: إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي ،ط:٢، ص: ١٧٤ .

(٦) ابن جنى ، الخصائص، ٣٥/١

(٧) ابن جنى ، الخصائص، ١٩٠/١

(٨) الجرجاني ، علي بن مُحَمَّد بن علي الزين الشريف (ت: ٨١٦هـ) تحقيق:جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان ،ط:١(١٩٨٣م)، ص:١٨

وتتبعها واحدة واحدة، واستقراء ناقص ويقصد به تتبع أغل الجزيئات أو أكثرها مع جواز وخروج الشاذ والقليل عليها.

ويقع الاستقراء الصرفي في اللغة العربية على المسموع من الكلام العربي، المتمثل في القرآن الكريم بقراءاته، والحديث النبوي، والشعر، والنثر كالأمثال والحكم والخطب وكل ما نطقت به العرب في يحياتهم اليومية.(٩)

والمنهج الاستقرائي في اللغة- نحوها وصرفها - قد استخدمه اللغويون والنحويون والصرفيون والبلاغيون قال السكاكي (ت/٦٢٦ هـ) في تعريف النحو بمعناه العام المشتمل على بنية التراكيب وبنية المفردات " اعلم أن علم النحو هو أن تنحو معرفة كيفية التركيب فيما بين الكلم لتأدية أصل المعنى مطلقا بمقاييس مستنبطة من استقراء كلام العرب وقوانين مبنية عليها ليحترز بها عن الخطأ في التركيب من حيث تلك الكيفية وأعني بكيفية التركيب تقديم بعض الكلم على بعض ورعاية ما يكون من الهيئات إذ ذاك وبالكلم نوعيها المفردة وما هي في حكمها... والكلام فيه يستدعي تقديم مقدمة وهي أن تلك الهيئات التي يلزم رعايتها على تفاوت بحسب المواضع وجهة التقديم والتأخير منحصرة بشهادة الاستقراء في أنها اختلاف كلم دون كلم اختلافا لا على نهج واحد لاختلاف أشياء معهودة فيظهر من هذا الغرض في هذا الفصل إنما يحصل بضبط ثلاثة القابل والفاعل والأثر فلنضمنه ثلاثة أبواب أحدها في القابل وهو المسمى عند أصحابنا معربا وثانيها في الفاعل وهو المسمى عاملا وثالثها في الأثر وهو المسمى إعرابا ولا يذهب عليك أن المراد بالقابل ههنا هو ما كان له جهة اقتضاء للأثر من حيث المناسبة وبالفاعل هو ما دعا الواضع على ذلك الأثر أو كان معه داعية له على ذلك وإلا فالفاعل حقيقة هنا هو المتكلم(١٠)"

قال السكاكي (ت/ ٦٢٦هـ): " والحزم يكون بحرف واحداً فصاعدا على أربعة بحكم الاستقراء، فإن استقام فذاك، وإلا فإما أن لا يكون شعرا أصلا أو أن يكون وزنا خارجا عن الاستقراء.وهذه الأوزان هي التي عليها مدار أشعار العرب بحكم الاستقراء لا تجد لهم وزنا يشذ

(٩) رضا هادى حسونة، الاستقراء الصرفى، مجلة الأستاذ للعلوم الإنسانية والاجتماعية، كلية التربية، جامعة بغداد، العراق، العدد: ٢٠٠، لسنة(٢٠١٢م) ، ص: ٦٣

(١٠) السكاكى، يوسف بن أبي بكر بن مُحَمَّد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (ت: ٦٢٦هـ)، مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: ٢، (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م)١/٧٥- ٧٦.

عنها اللهم إلا نادرا وأكثر الاستقراآت كذلك لا تخلو عن شذوذ شيء منها ولعل جميعها ثم لا تجد ذلك(١١)"

ومن خواص الاستقراء التام ضبط الجزئيات وحصرها، حتى لا تخرج مفردة عن دائرة التتبع؛ ونظرًا لأن القواعد الكلية غير متناهية المفردات أصبح الاستقراء التام غير متيسر إلا إذا أمكن حصر الجزئيات؛ ولأجل هذا وسم الاستقراء التام بأنه قليل الاستعمال في أغلب التخصصات العلمية(١٢).

ثالثًا: الاستقراء اصطلاحًا عند الفقهاء والأصوليين.

يحدد الغزالى مفهوم الاستقراء في الفقه وأصوله ويمثل له في قوله: " أَمَّا الِاسْتِقْرَاءُ فَهُوَ عِبَارَةٌ عَنْ تَصَفُّحِ أُمُورٍ جُزْئِيَّةٍ لِنَحْكُمَ بِحُكْمِهَا عَلَى أَمْرٍ يَشْمَلُ تِلْكَ الْجُزْئِيَّاتِ، كَقَوْلِنَا فِي الْوِتْرِ : لَيْسَ بِفَرْضٍ؛ لِأَنَّهُ يُؤَدَّى عَلَى الرَّاحِلَةِ وَالْفَرْضُ لَا يُؤَدَّى عَلَى الرَّاحِلَةِ .فَيُقَالُ :لِمَ قُلْتُمْ إنَّ الْفَرْضَ لَا يُؤَدَّى عَلَى الرَّاحِلَةِ؟ فَيُقَالُ :عَرَفْنَاهُ بِالِاسْتِقْرَاءِ إذْ رَأَيْنَا الْقَضَاءَ وَالْأَدَاءَ وَالْمَنْذُورَ وَسَائِرَ أَصْنَافِ الْفَرَائِضِ لَا تُؤَدَّى عَلَى الرَّاحِلَةِ، فَقُلْنَا :إنَّ كُلَّ فَرْضٍ لَا يُؤَدَّى عَلَى الرَّاحِلَةِ(١٣)"

وذهب الشاطبى إلى أن الاستقراء من الشرع فقال:" وَلِأَنَّ الِاسْتِقْرَاءَ مِنَ الشَّرْعِ عَرَّفَ أَنَّ لِلِاجْتِمَاعِ تَأْثِيرًا فِي أَحْكَامٍ لَا تَكُونُ حَالَةَ الِانْفِرَادِ(١٤)"

وقال ايضًا:" وَأَنْتَ إِذَا رَاجَعْتَ أَوَّلَ الْمَسْأَلَةِ وَمَا تَقَدَّمَ قَبْلَهَا، لَمْ يَبْقَ لِهَذَا الْإِشْكَالِ مَوْقِعٌ، أَمَّا عَلَى مَذْهَبِ الْأَشَاعِرَةِ، فَإِنَّ اسْتِقْرَاءَ الشَّرِيعَةِ دَلَّ عَلَى مَا هُوَ الْمُعْتَبَرُ مِمَّا لَيْسَ بِمُعْتَبَرٍ، لَكِنْ عَلَى وَجْهٍ يُحَصِّلُ ضَوَابِطَ ذَلِك، وَالدَّلِيلُ الْقَاطِعُ فِي ذَلِكَ اسْتِقْرَاءُ أَحْوَالِ الْجَارِينَ عَلَى جَادَّةِ الشَّرْعِ من غير إخلال بالخروج(١٥)"

---

(١١) السكاكى، مفتاح العلوم، ٥٦٢/١

(١٢) ماهل، فضل الله النور على، والصديق، مُحَمَّد عبدالقادر، الاستقراء النحوى وعلاقته بالبحث العلمى ، مجلة لعلوم الإسلامية والبحوث الإسلامية، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، معهد العلوم والبحوث الإسلامية، مج/ ١٩، ع، ٢، (٢٠١٨م) ، ص:١٢٦

(١٣) الغزالي، أبو حامد مُحَمَّد بن مُحَمَّد الطوسي (ت/ ٥٠٥هـ)، المستصفى، تحقيق: مُحَمَّد عبد السلام عبد الشافي ، دار الكتب العلمية ،ط: ١، (١٩٩٣م)، ص: ٤١.

(١٤) الشاطبي إبراهيم بن موسى بن مُحَمَّد اللخمي الغرناطي (ت/ ٧٩٠هـ) الموافقات، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان الناشر: دار ابن عفان، ط: ١ (١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م) ٤٦٨/٣

(١٥) الشاطبي ، الموافقات، ٧٠/٢

المحور الثاني

موقف ابن الحاجب من الاستقراء الصرفي (المفهوم والتطبيق)

لم يخرج ابن الحاجب عن مفهوم الاستقراء الذى حدده السابقون من النحويين والصرفيين والفقهاء والأصوليين خاصة أنه قد برع في هذه العلوم فعرف بالنحوي والصرفي والفقيه والأصولي ، فالتزم ابن الحاجب بالمفهوم اللغوى الذى ورد في اللغة وما استقر عليه العلماء السابقون عليه والمعاصرون له بأن المقصود بالاستقراء هو: تتبع الجزئيات واحدة واحدة، ثم الخروج بنتائج حكمية تنطبق على جميع الجزئيات، للوصول إلى حكم عام ينطبق على جميع الجزئيات.

وقد أبدع ابن الحاجب في تطبيق منهج الاستقراء بنوعية التام والناقص. أما الاستقراء التام فقد استخدمه ابن الحاجب في التقسيمات الصرفية من خلال تتبع جميع جزئيات الظاهرة الصرفية ثم حصرها في أنواع ثنائية أو ثلاثية أو رباعية أو خماسية. وسيتضح ذلك عند الحديث عن مجالات الاستقراء الصرفي.

قال ابن الحاجب في أنواع الأبنية:" وأبنية الاسم الأصول ثلاثيّة، ورباعيّة، وخماسيّة. وأبنية الفعل ثلاثيّة ورباعيّة" (١٦) فقد حصر ابن الحاجب أبنية الاسم والفعل عن طريق استقراء اللغة الذى أوصله إلى هذا التصنيف.

الألفاظ الدالة على الاستقراء الصرفي عند ابن الحاجب

قال ابن الحاجب:" والذي يدل عليه الاستقراء والمعنى. أما الاستقراء فواضح، إذ لم يوجد، ول كان سائغاً قضت العادة بوجوده. وأما المعنى فعلمنا بأن لفظ المشترك لم يوضع ليدل على الحقيقتين في محل واحد، وإنما وضع ليدل على هذا مرة)١ (وعلى هذا أخرى. وعلمنا أن الألف المزيدة في آخر الاسم لا دلالة لها إلا على الاثنينية دون الحقيقة. فلو ذهبت تدل على الحقيقتين لكان إخراجا لأحد الأمرين عما علم خلافه، لأنك إن جعلت الدلالة على الجنس الآخر باسم الجنس فقد جعلته يدل بلفظ إفراده على الجنسين جميعا(١٧)"

الكثير والغالب، والقليل والنادر والشاذ كلها ألفاظ تدل على الاستقراء الصرفي بنوعيه

---

(١٦)ابن الحاجب، عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، أبو عمرو جمال الدين، الكردي، المالكي (ت/ ٦٤٦هـ)، الشافية في علمي التصريف والخط تحقيق: صالح عبد العظيم الشاعر، مكتبة الآداب – القاهرة ، ط: ١،(٢٠١٠ م)، ص: ٥٩.

(١٧) أمالى ابن الحاجب، ٥٦٧/٢

التام والناقص، فالاستقراء التام يكون عند عدم القدرة على حصر جميع جزئيات الظاهرة الصرفية، أو الأحكام الصرفية التي خرجت عن الاستقراء التام، وهذا الخروج يعود إلى سببين، أولهما: تعذر حصر الجزئيات، فيحكم عليها بالكثرة أو الغالبية، والسبب الثاني القدرة على حصر جميع جزئيات الظاهرة الصرفية، والتأكد من وجود القليل أو النادر أو الشاذ الذي خرجت مفرداته عن الحكم العام للظاهرة الصرفية. وقد اعتمد ابن الحاجب على الاستقراء الصرفي التام والناقص في كثير من القضايا الصرفية، وتنوعت مجالات الاستقراء الصرفي عنده، وفيما يأتي عرض للنصوص التي توضح ذلك.

قال ابن الحاجب : "وفَعِلَ: **يكثر** فيه العلل والأحزان وأضدادها، كسقم ومرض وبرئ وحزن وفرح.. وأفعل للتّعدية **غالبًا**، نحو :أجلسته، وللتّعريض، نحو :أبعته، ولصيرورته ذا كذا، نحو : أغدّ البعير، ومنه :أحصد الزّرع، ولوجوده على صفة، نحو :أحمدته، وأبخلته، وللسّلب، نحو : أشكيته، وبمعنى فعل، نحو :قلته وأقلته.. وفعّل للتّكثير **غالبًا**، نحو :غلّقت، وقطّعت، وجوّلت، وطوّفت، وموّت المال، أو للتّعدية، نحو :فرّحته، ومنه (فسّقته) "[١٨]

قال ابن الحاجب:" افتعل للمطاوعة **غالبًا**، نحو :غممته فاغتمّ، وللاتّخاذ، نحو :اشتوى، وللمفاعلة، نحو :اجتوروا، واختصموا، وللتّصرّف، نحو :اكتسب. واستفعل للسّؤال **غالبًا**، إمّا صريحًا نحو :استكتبته، أو تقديرًا نحو : استخرجته، وللتّحوّل، نحو :استحجر الطّين"[١٩]

قال ابن الحاجب في المصدر من الثلاثي المجرّد: " أبنية الثّلاثيّ المجرّد **كثيرة**، نحو:قتل، وفسق، وشغل، ورحمة، ونشدة، وكدرة، ودعوى، وذكرى، وبشرى، وليان ، وحرمان، وغفران، ونزوان، وطلب، وخنق، وصغر، وهدى، وغلبة، وسرقة، وذهاب، وصراف، وسؤال، وزهادة، ودراية، ودخول، وقبول، ووجيف، وصهوبة، ومدخل، ومرجع، ومسعاة، ومُجَّدة، وبغاية، وكراهية. "[٢٠]

قال ابن الحاجب في أبنية الفعل الرباعي: " للرّباعيّ المجرّد بناء واحد، نحو :دحرجته، ودربخ، أي ذلّ. وللمزيد فيه ثلاثة، نحو : تدحرج، واحرنجم، واقشعرّ، وهي لازمة" [٢١]

(١٨) الشافية في علمى التصريف والخط، ص:٦٣

(١٩) الشافية في علمى التصريف والخط، ص:٦٤

(٢٠) الشافية في علمى التصريف والخط، ص:٦٦

(٢١) الشافية في علمى التصريف والخط، ص:٦٤

قال ابن الحاجب:" و**الأكثر** على أن لا روم ولا إشمام في هاء التّأنيث وميم الجمع والحركة العارضة."[٢٢]

قال ابن الحاجب:" وحذف الياء في نحو: (القاضي) و (غلامي) حرّكت أو سكّنت، وإثباتها **أكثر**، عكس (قاض)، وإثباتها في نحو: (يا مري) **اتّفاق**. وإثبات الواو والياء وحذفهما في الفواصل والقوافي **فصيح**، وحذفهما فيهما في نحو: (لم يغزوا) و (لم ترمي) و (صنعوا) **قليل**"

قال ابن الحاجب:" ويوقف على الألف في باب (عصا) و (رحى) باتّفاق، وقلبها وقلب كلّ ألف همزة ضعيف، وكذلك قلب ألف التّأنيث في نحو: (حبلى) همزة أو واوا أو ياء"[٢٣]

الشاذ عما خالف الاستقراء الصرفى عند ابن الحاجب

قال ابن الحاجب:" يطلق الشاذ على أوجه: أحدها: أنه يطلق ويراد به أنه قليل الاستعمال أو خارج عن قياس أو غير فصيح (٢٤)"

قال الجابردى:" قال الجاربردي: " اعلم أن المراد بالشاذ في استعمالهم ما يكون بخلاف القياس من غير نظر إلى قلة وجوده وكثرته.[٢٥]"

قال ابن الحاجب:" من ثمّ كان أصل مضارع أفعل :يؤفعل، إلاّ أنّه رفض لما لزم من توالي همزتين في المتكلّم، فخفّف الجميع، وقوله(٢٦) من الرجز: فإنّه أهل لأن يؤكرما شاذّ"(٢٧)

قال ابن الحاجب:" اختلف الناس في "لا "هذه .فقال البصريون :هي" لا "المشبهة بليس لأنها ألحقت التاء المختصة بالأفعال، فلولا شبهها بالفعل لم تلحقها. وإذا كانت المشبهة بالفعل فهي التي بمعنى ليس أيضاً .فإن المعنى على قولك ليس هذا الحين حين مناص، وشبهه مما يقع فيه لات)١ .(واغتفروا ما يلزمهم لقيام هذا الدليل، والذي يلزمهم أن "لا "بمعنى "ليس "شاذ. وجوابه أنه

(٢٢) الشافية في علمى التصريف والخط، ص:٧٩

(٢٣) الشافية في علمى التصريف والخط، ص:٧٩

(٢٤) أمالى ابن الحاجب،٢/٧٧٤

(٢٥) الجابردى، مجموعة الشافية بشرح العلامة الجاربردى١/ ٢٠.

(٢٦) هو لأبي حيان الفقعسي، والشاهد فيه قوله: (يؤكرم)، قال الأنباري في الإنصاف ١/ ٢٣٩: "فحذفوا الهمزة وإن لم يجتمع فيها همزتان حملا على (أكرم)؛ ليجرى الباب على سنن واحد، ولا يدلّ ذلِك على أنّها مشتقّة من (أكرم).

(٢٧) الشافية في علمى التصريف والخط، ص:٦٥

شاذ ما لم تدخل التاء، فإذا دخلت فليس بشاذ." ويفهم من قول ابن الحاجب أن الشاذ هو ما خرج عن شروط التقعيد اللغوى.

المحور الثالث

مجالات الاستقراء الصرفي عند ابن الحاجب

يقصد بمجالات الاستقراء الصرفي الجزئيات التي يُستخدمُ فيها المنهج الاستقرائي من خلال حصر المفردات. والجزيئات، لإصدار الأحكام الصرفية الكلية الصادقة على جميع الجزئيات. ويمكن حصر مجالات الاستقراء الصرفى عند ابن الحاجب فيما يأتي:

١- التقسيمات والاستقراء الصرفي

٢- المصطلحات والاستقراء الصرفي

٣- التعريفات والاستقراء الصرفي

٤- الأحكام والاستقراء الصرفي.

وفيما يأتي عرض وتحليل لهذه المجالات وبيان دور الاستقراء الصرفى فيها.

أولاً: مجال التقسيمات والاستقراء الصرفى عند ابن الحاجب

تظهر عملية الاستقراء الصرفى عند ابن الحاجب في إحصاء التقسيمات، ورصد الأنواع والأنماط والأوزان

قال ابن الحاجب في تقسيم أصول الكلمة إلى صحيح ومعتل: " وتنقسم إلى صحيح ومعتل:فالمعتلّ ما فيه حرف علة، والصحيح بخلافه.فالمعتل بالفاء مثال، وبالعين أجوف وذو الثلاثة، وباللام منقوص وذو الأربعة، وبالفاء والعين أو بالعين واللام لفيف مقرون، وبالفاء واللام لفيف مفروق. أبنية الاسم الثلاثي المجرد: وللاسم الثلاثيّ المجرّد عشرة أبنية، والقسمة تقتضي اثني عشر، سقط منها (فعل) و (فعل) استثقالا"(٢٨)

ويتضح من قول ابن الحاجب ما يأتي :

١- أنه اعتمد على الاستقراء في تقسم أصول الكلمة إلى الصحيح والمعتل. وتقسيم المعتل إلى خمسة أقسام، ووضع لكل قسم مصطلح يختص به بعد أن قسم الكليمة إلى ذوات الثلاثة أحرف المجردة ، وذوات الأربعة أحرف المجردة أيضًا : (معتل الفاء واصطلح عليه بالمثال، ومعتل العين واصطلح عليه بالأجوف، ومعتل اللام ، واصطلح عليه بالمنقوص، وذو الأربعة ، والقسمة فيه تقتضى أن يكون معتلاً بالفاء والعين وهذا لم يرد في لغة العرب فلم يضع له مصطلحًا، أو معتلا بالعين واللام وهذا مماقالته العرب فاصطلح عليه

(٢٨) الشافية في علمى التصريف والخط، ص: ٦٠

٢- باللفيف المقرون، أو معتلا بالفاء واللام فاصطلح عليه باللفيف المفروق .

٣- ويتضح استقراء ابن لحاجب للغة في تقسيمه المنطقى لابنية الثلاثى المجرد من الأسماء فيقول: " وللاسم الثلاثيّ المجرّد عشرة أبنية، والقسمة تقتضي اثني عشر، سقط منها (فعل) و (فعل) استثقالا" وهو بذلك يأتي بما ورد عن العرب بكثرة أما ما ندر أو قل لعلة الاستثقالظفإنه ينص عليه من حيث القسم العقلية التي ينبغي أن تكون عليه الكلمة .

قال ابن الحاجب في أبنية الاسم الرباعيّ المجرّد :وللرّباعيّ المجرّد خمسة :جعفر، وزبرج، وبرثن، ودرهم، وقمطر)، وزاد الأخفش نحو جخدب . أبنية الاسم الخماسيّ المجرّد: وللخماسيّ المجرّد أربعة :سفرجل، وقرطعب، وجحمرش، وقذعمل. أبنية الاسم المزيد فيه. وللمزيد فيه أبنية كثيرة، ولم يجئ في الخماسيّ إلاّ :عضرفوط، وخزعبيل، وقرطبوس وقبعثرى، وخندريس، على الأكثر "[٢٩]

ثانيًا: مجال المصطلحات والاستقراء الصرفي عندابن الحاجب:

قال السكاكى"اعلم أن الطريق على هذه الاعتبارات من انتزاع كلي عن جزئيات، وسلوكه هو أن تعمد لاستقراء الهيئات فيما يتناوله الاشتقاق متطلباً بين متناسبتها رد البعض على البعض، عن كمال التنبه لمجاريه وشواهده وما يضاد ذلك ضابطًا، إياها كل الضبط في أصول تستنبطها وقوانين، تنوب في مظان الاستقراء ومداحض التأمل، ولنقدم أمام الخوض فيما نحن له عدة **اصطلاحات** لأصحابنا رحمهم الله، عسى أن يستعان بها على شيء من الاختصار في أثناء مساق الحديث، وهي أن الاسم أو الفعل إذا لم يكن في حروفه الأصول معتلاً سمي صحيحاً وسالماً، وإذا كان بخلافه سمي معتلا"[٣٠]

ومن ذلك ما ذكره ابن الحاجب في تعريفه للفعل المضارع بأن" المضارع بزيادة حرف المضارعة على الماضي.فإن كان مجرّدا على فعل كسرت عينه أو ضمّت، أو فتحت إن كان العين أو اللاّم حرف حلق غير ألف، وشذّ (أبى يأبى)، وأمّا (قلى يقلي)فعامريّة، و (ركن يركن) من التّداخل.ولزموا الضّمّ في الأجوف بالواو، والمنقوص بها، والكسر فيهما بالياء، ومن قال :طوّحت وأطوح، وتوّهت وأتوه، فـ (طاح يطيح) و (تاه يتيه) شاذّ ، أو من التّداخ".

ويفهم من قول ابن الحاجب ما يأتي:

(٢٩) الشافية في علمى التصريف والخط، ص: ٦١

(٣٠) السكاكى، مفتاح العلوم، ٣٠/١

١- ربط المصطلح بالمفهوم من خلال الاستقراء فكل فعل ماض سيق بحرف من حروف المضارعة فقد تحولت صيغته إلى صيغة المضارعة.

٢- ووضع شروطا للالتزام بالتعريف " فإن كان مجرّدا على فعل كسرت عينه أو ضمّت، أو فتحت إن كان العين أو اللاّم حرف حلق غير ألف.

٣- إذا ورد من الكلام ما خالف القاعدة الصرفية فهو شاذ، " وشذّ (أبى يأبى)، وأمّا (قلى يقلي)فعامريّة، و (ركن يركن) من التّداخل."

٤- أشارة ابن الحاجب من خلال عملية الاستقراء أن العرب" ولزموا الضّمّ في الأجوف بالواو، والمنقوص بها، والكسر فيهما بالياء، ومن قال :طوّحت وأطوح، وتوّهت وأتوه" وجعل من الشاذ أو التداخل : " طاح يطيح، وتاه يتيه"

قال ابن الحاجب في المصدر الميمي: " ويجيء المصدر من الثّلاثيّ المجرّد أيضا على مفعل قياسا مطّردا، ك "[٣١] (مقتل)، و (مضرب)

وتأتى علاقة المصطلحات بالاستقراء الصرفي عند ابن الحاجب من خلال استقراء رأى الصرفيين للوصول إلى الحكم على الشيء بما هو مقصود به في اصطلاحهم وما استقر في اعتقادهم، وذلك يتحقق إما عن طريق الاتباع أوعن طريق الابتداع ومن ذلك مصطلح (المصدر) وكونه أصل المشتقات أم الفعل أصلها واستقراء رأى البصريين والكوفيين في ذلك قال ابن الحاجب:" المصدر دال على الفعل الحقيقي وهو المعاني وما أجري مجراها من النسب .وقوله : والفعل مشتق منه، يعني به الفعل الصناعي اللفظي قسيم الاسم والحرف الدال على حدث وزمان، مشتق منه، أي :من المصدر على ما هو مذهب البصريين، فتضمن الكلام أمرًا يسمى مصدرًا، وأمرًا يسمى فعلا حقيقيًا هو مدلول المصدر، وأمرًا يسمى فعلاً صناعيًّا لفظيًّا هو مشتق من المصدر .فالمصدر الألفاظ التي هي أسماء للأحداث كالقيام والقعود والأكل والخروج؛ ولذلك فسرها في موضع آخر بقوله" :قمت قياما، وقعدت قعودًا ."ثم قال" :فالقيام والقعود وما أشبههما مصادر"، والقعل الحقيقي هي المعاني وما أجري مجراها، كمدلول لفظ القيام والأكل والشرب، والعلم والجهل ونظائرها .والفعل الصناعي اللفظي المشتق من المصدر هي نحو قولك :ضرب وقتل وشبه ذلك .وكذلك مضارعاتها كقولك :يضرب ويقتل، وهي مشتقة من مصادرها. ف "ضرب "

(٣١) الشافية في علمى التصريف والخط، ص:٦٨

من الضرب، و"قتل "من القتل، وكذلك جميعها، فهذا معنى قوله :والفعل مشتق منه، أي :الفعل اللفظي مشتق من لفظ المصدر(٣٢)"

وقد لجأ ابن الحاجب إلى منهج الاستقراء الصرفي في تعرضه لمصطلح الفاعل وتحديد مفهومه عند النحويين والصرفيين فقال: " قول النحويين: الفاعل على ضربين: حقيقة ومجاز، ليس يستقيم . فالمجاز مثل :مات زيد وسقط الحائط. وبيان أنه ليس يستقيم أن المجاز فرع الحقيقة، فلا بد في هذا اللفظ أن يكون له حقيقة ثم ينقل عنها إلى المجاز، ولا حقيقة له البتة حتى يقال :إنه مجاز. وأيضا فإن الفاعل عبارة عما نسب الفعل إليه وقدم عليه على جهة قيامه به .وهذا موجود فيما ذكر من قولنا :مات زيد، إذ الفعل مقدم عليه ومسند إليه على جهة قيامه به. فإن الموت قام بزيد، والوقوع قام بالحائط. هذا لا شك فيه، فلا عبرة بقولهم :فاعل حقيقةً وفاعل مجازًا .وقولنا :على جهة قيامه به، احتراز من مفعول ما لم يسم فاعله، فإنه عند المتأخرين أصحاب هذا الحد ليس فاعلا، فلا بد من زيادة قولهم :على جهة قيامه به، ليخرج، فإنه واقع عليه في قولنا :ضرب زيد، وما أشبهه .وأما المتقدمون فإنهم يجعلونه فاعلا ويحدونه بقولهم :ما قدم الفعل عليه وأسند إليه، وهذا الذي لم يسم فاعله كذلك(٣٣)"

ويتبن من قول ابن الحاجب أنه استقرأ رأى المتقدمين والمتأخرين في زمانه لمعرفة مفهوم الفاعل الدقيق لديهم، وقد اعترض على قولهم: الفاعل على ضربين: (حقيقة ومجاز)، وحاول أن يربط بين المفهومين الحقيقة والمجاز بإضافة عبارة (على جهة قيامه به) لينطبق مفهوم الفاعل بالمطلح بدقة تمنع من دخول غيره في معناه.

ثالثًا: مجال التعريفات والاستقراء الصرفي:

يعد وضع التعريف الصرفي وتحديد مفهومه مجالاً من مجالات الاستقراء الصرفي عند ابن الحاجب، فلابد أن يستقرئ معاني الألفاظ لتحديد ماهية الأشياء يول ابن الحاجب: "واللفظ إذا ذكر وقصد نفس صيغته كان معرفة مقصودا به نفسه .ألا ترى أنك إذا قلت :مِنْ حرف جر، كانت " مِنْ "مبتدأ مخبرًا عنها بقولك: حرف جر، قصد نفس لفظها .فإن قلت :اللفظ لا بد له من مدلول، فإذا تلفظت بـ "مِنْ " فلا بد لها من مدلول، ولا مدلول لها ههنا إلا نفسها، فيؤدي إلى

(٣٢) أمالى ابن الحاجب٢/٣٣٤- ٣٣٥

(٣٣) أمالى ابن الحاجب، ٨٨٧/٢

أن يكون الدليل والمدلول واحدا .قلت :الألفاظ إنما وضعت دالة على غيرها لزومًا في الموضع الذي يكون مدلولها غير لفظ لاحتياج إبلاغ المعاني عما ليس بلفظ كقولك: الحصير حسنة والثوب نافع .وأما إذا كانت مدلولاتها لفظًا فقياسها ألا تحتاج إلى دليل عليها، بل ينطق باللفظ ويقصد به نفسه، ويستغنى عن الدلالة عليه بغيره، فلا يكون ثم دليل، بل نفس المقصود هو الملفوظ به. ومع ذلك فإنهم قد وضعوا لفظا دليلا على لفظ آخر وإن كانوا في غنية عنه تارة لاختصارهم وتارة لتصرفهم... وإنما سوغه في الموضعين كونه على قياس أوضاعهم، فأجروا ما لو يضطروا إلى الوضع له مجرى ما اضطروا فيه إلى الوضع(٣٤)"

يعرف ابن الحاجب الاسم الممنوع من الصرف عن طريق الاستقراء فيقول: " غير المنصرف :ما فيه علّتان من تسع، أو واحدة منها تقوم مقامهما(٣٥)"

ويقول في تعريف الكلمة : " الكلمة :لفظ وضع لمعنى مفرد، وهي:اسم، وفعل، وحرف"(٣٦)

ويعرف التصريف ثم يعتمد على الاستقراء في شرح أحوال الأبنية فيقول:" التّصريف علم بأصول يعرف بها أحوال أبنية الكلم الّتي ليست بإعراب]].أنواع الأبنية[[وأبنية الاسم الأصول ثلاثيّة ورباعيّة وخماسيّة.وأبنية الفعل ثلاثيّة ورباعيّة." (٣٧)

ويستخدم منهج الالستقراء في تعريف الكلام وحصر مفهومه في كونه (اسمين أواسم وفعلر) فيقول : " الكلام :ما تضمّن كلمتين بالإسناد، ولا يتأتّى ذلك إلاّ في اسمين، أو فعل واسم" (٣٨)

رابعًا: مجال الأحكام والاستقراء الصرفى عند ابن الحاجب

لا يتصور إصدار حكم صرفى أو نحوى دون استخدام المنهج الاستقرائى من خلال استقراء كلام العرب .قال ابن الحاجب:" لا يصح إثبات الأحكام اللغوية بمجود المعاني المعقولة لأنه

(٣٤) أمالى ابن الحاجب، ٢/٧٣٥-٧٣٦

(٣٥) ابن الحاجب، جمال الدين بن عثمان بن عمر بن أبي بكر المصري الإسنوي المالكي (ت: ٦٤٦ هـ)، الكافية في علم النحو، تحقيق : صالح عبد العظيم الشاعر، مكتبة الآداب – القاهرة ، ط:١، (٢٠١٠ م) ص: ١٢

(٣٦) ابن الحاجب، الكافية في علم النحو،ص: ١١.

(٣٧) الشافية في علمى التصريف والخط، ص:٥٩

(٣٨) ابن الحاجب، الكافية في علم النحو،ص: ١١.

يكون إثبات اللغة بالقياس، بل لابد من إثبات ذلك عن العرب. فإن بين سيبويه، ان استقرأ حق الاستقراء حق الاستقراء فلم يوجد مثله صح مذهبه ورجع خصمه محتاجا إلى إثبات ذلك منقولا عن العرب. وإن بين الأخفش مثل ذلك منقولا عن العرب وجب أن يرجع إلى تعليله وصح مذهبه(٣٩)."

يقول ابن الحاجب بعد أن قسم الكلام إلى اسم وفعل وحرف، وأراد أن يوضح مفهوم معنى الحرف : " الحرف : ما دل على معنى في غيره :"يرد عليه الأسماء التي لا تعقل إلا بمتعلق مذكور معها مثل: عند وقيد . وإنما اتفق أنهم لم يستعملوه إلا كذلك. ونحكم على أن "مِنْ " ونحوها لا يفهم منها ذلك المعنى، من حيث وضعها إلا مضمومًا إلى متعلقها . وإنما حكمنا بذلك لما ثبت من استقراء كلامهم أن الحرف وضعه كذلك والاسم كذلك، وثبت أن هذه من قبيل الأسماء بخصائصها، فوجب أن لا تحمل على جهة يلزم أن تكون به حرفًا بعد ثبوت اسميتها لما فيه من التناقض. والذي يوضح لك ذلك إطباقهم على أن "عن وعلى "في قولك: قعدت عن يمينه ووليت عليه، حرف أيضًا(٤٠)"

من مجالات الاستقراء الصرفى الأحكام الصرفية، وقد عتمد ابن الحاجب على منهج الاستقراء في إصداره الأحكام الصرفية فيما ثبت لديه من استقراء كلام العرب، يقول في استعمال (عن وعلى) اسمين: " والذي يوضح لك ذلك إطباقهم على أن "عن وعلى "في قولك: قعدت عن يمينه ووليت عليه، حرف أيضًا، وهما اسمان في قولك :قعدت من عن يمينه وأخذت من عليه .ولولا ما ثبت من خاصية الاسم فيهما في المحلين المخصوصين لم يحكم عليهما باسمية، فلما ثبت كونهما اسمين بالخواص التي توجب الاسمية وجب حملهما على معنى الاسم وإن كان فيه بعد، إذ تقديرها على ما كانت عليه من معنى الحرفية يلزم منه التناقض العقلي، وحملها على هذه الجهة يلزم منه استبعاد. وإذا تردد بين التناقض والاستبعاد والتجيء إلى أحدهما وجب الحمل على الاستبعاد، فكذلك ههنا(٤١)."

(٣٩) ابن الحاجب، عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، أبو عمرو جمال الدين الكردي المالكي (ت ٦٤٦هـ)، الأمالى، دراسة وتحقيق: د. فخر صالح سليمان قدارة، دار عمار – الأردن، دار الجيل – بيروت، (١٩٨٩م) ٥٨٠/٢

(٤٠) أمالى ابن الحاجب ٣١٠/١

(٤١) أمالى ابن الحاجب، ٣١١/١

ويعتمد على الاستقراء الصرفي والمعنى العقلي المنطقي في قوله:" ليس معنى "من "المزيدة ابتداء الغاية ، في قولك" :ما جاءني من أحد، راجع إلى هذا :"أي: إلى معنى الابتداء. ليس بمستقيم؛ لأن معنى كونها زائدة أنك لو أسقطتها كان المعنى الأصلي بحالة. ولا يستقيم على هذا أن يكون مفهومًا منها معنى الابتداء، لأنك لو حذفتها لم يبق معنى الابتداء، فيبطل كونها زائدة، ولزم منه أن تكون زائدة وغير زائدة وهو باطل."(٤٢)

ويقول ابن الحاجب: " والمصدر لا يكون مع فاعله جملة أبدا، بل لا بد له من جزء آخر غير معموله يكون معه جملة .ألا ترى أنك لو قلت :ضرب زيد عمرا، لم يكن كلامًا، حتى تقول : أعجبني أو ما أشبهه، بخلاف قولك :ضرب زيد عمرا. فثبت أن المعنى الذي استحق الفعل ذكر الفاعل لأجله مفقود في المصدر، فلا يلزم من وجوب ذكر الفاعل في الفعل وجوب ذكره في المصدر.(٤٣)"

(٤٢) أمالى ابن الحاجب، ٣١١/١

(٤٣) أمالى ابن الحاجب، ٥٨٢/٢

المحور الرابع

مواضع الاستقراء الصرفى عند ابن الحاجب

بنى ابن الحاجب أحكامه الصرفية على استقراء كلام العرب، وتوصل من خلال استقرائه إلى معرفة ما جاء من كلام العرب مطردا يمكن القياس عليه وما جاء شاذًا أو قليلاً أو نادرًا لا يمكن القياس عليه، وما جاء ليس مطردًا ولكنه كثير وأكثر وغالب في كلامهم يحسن الأخذ به والاعتماد عليه في إثبات الحكم الصرفى أو نفيه، وفيما يأتي عرض للمواضع التي ورد فيها استقراء ابن الحاجب لكلام العرب، وإصداره للأحكام الصرفية معتمدًا على المنهج الاستقرائي:

١- قال ابن الحاجب:"إذا ولي ياء التّصغير واو، أو ألف منقلبة أو زائدة، قلبت ياء، وكذلك الهمزة المنقلبة بعدها، نحو :عريّة، وعصيّة، ورسيلة، وتصحيحه في باب (أسيّد) و (جديّل) قليل، فإن اتّفق اجتماع ثلاث ياءات حذفت الأخيرة نسيا على الأفصح، كقولك في عطاء، وإداوة، وغاوية، ومعاوية: (عطيّ) و(أديّة)، و (غويّة)، و (معيّة)"(٤٤)

٢- قال ابن الحاجب: " الجمع يردّ إلى الواحد، فيقال في كتب وصحف ومساجد وفرائض :(كتابيّ) و (صحفيّ) و (مسجديّ) و (فرضيّ)، وأمّا مساجد علما فـ (مساجديّ) كـ (أنصاريّ) و (كلابيّ).وما جاء على غير ما ذكر فشاذّ".(٤٥)

٣- الاستقراء المنفى والمثبت

قال ابن الحاجب في الاستقراء المنفى " ولم يضمّوا في المثال، و (وجد يجد) ضعيف، ولزموا الضّمّ في المضاعف المتعدّي، نحو :يشدّ ويمدّ، وجاء بالكسر في يشدّه، ويعلّه، وينمّه، ويبتّه، ولزموه في (حبّه يحبّه)، وهو قليل.وإن كان على فعل فتحت عينه، أو كسرت إن كان مثالا، وطيّئ تقول في باب (بقي يبقى) :(بقى يبقى)، وأمّا (فضل يفضل) و (نعم ينعم) فمن التّداخل(٤٦)"

فقد تبين أن الاستقراء المنفى في هذا النص هو: أن العرب لم تضم المضارع الذى فاء ماضيه حرف علة، و وحكم ابن الحاجب والصرفيون على ما ورد منه بأنه ضعيف.وأن الاستقراء المثبت هو أن العرب " ولزموا الضّمّ في المضاعف المتعدّي، نحو :يشدّ ويمدّ، وجاء بالكسر في يشدّه، ويعلّه،

(٤٤) الشافية في علمى التصريف والخط، ص:٦٩

(٤٥) الشافية في علمى التصريف والخط، ص:٧٢

(٤٦) الشافية في علمى التصريف والخط، ص:٦٥

وينمّه، ويبتّه"(٤٧)

وقد استقرأ الصرفيون اللغة فوجدوا أن" الألوان والعيوب والحلي على أفعل" أي تأتى على صيغة أفعل مثل: أبيض ، وأحمر وأخضر.. وأعرج، وأعور، وأبتر، وأجدع.. فكانت التيجة التي توصلوا اليها أن كل كلمة دل لفظها على لون أو عيب أو حلى ترد على صيغة أفعل .

٤- الاستقراء والقياس:

والاستقراء نوع من القياس عند ابن الحاجب حيث قال في المصدر من الثّلاثيّ المزيد والرّباعيّ: "والمزيد فيه والرّباعيّ قياس، فنحو أكرم على إكرام، ونحو كرّم على تكريم وتكرمة، وجاء :كذاب وكذّاب، والتزموا الحذف والتّعويض في نحو :تعزية، وإجازة، واستجازة... المصدر الميمي: ويجيء المصدر من الثّلاثيّ المجرّد أيضا على مفعل قياسا مطّردا، ك (مقتل)، و (مضرب).

٥- استقراء مواضع همزة الوصل:

قال ابن الحاجب في مواضع همزة الوصل معتمدًا على استقراء لغة العرب:" لا يبتدأ إلاّ بمتحرّك، كما لا يوقف إلاّ على ساكن، فإن كان الأوّل ساكنًا-وذلك في عشرة أسماء محفوظة، وهي ابن وابنة و ابنم و اسم و است و اثنان و اثنتان و امرؤ ، و امرأة ، وايمن الله، وفي كلّ مصدر بعد ألف فعله الماضي أربعة فصاعدا، ك (الاقتدار) و(الاستخراج)، وفي أفعال تلك المصادر من ماض أو أمر، وفي صيغة أمر الثّلاثيّ، وفي لام التّعريف وفي ميمه-ألحق في الابتداء خاصّة همزة وصل مكسورة، إلاّ فيما بعد ساكنه ضمّة أصليّة فإنّها تضمّ، نحو : اقتل، واعز، واعزي، بخلاف ارموا، وإلاّ في لام التّعريف وايمن الله، فإنّها تفتح"

قال السكاكى:" وإن كانت أصل تحريك الساكن لكونها أكثر فائدة من أختيها في أصل الاعتبار، وذلك أن اجتماع الساكنين حيث كان محوجا على التحريك وقد شهد لوقوعه الاستقراء بالكثرة وإن للأفعال منها المعلى وناهيك نوعا والأوامر من الأفعال المشددة الأواخر وما ينجزم منها بأنواع الجوازم وطالما تلى عليك للأكثر حكم الكل فتقدمت في الاعتبار وإفادة الكسرة والحال هذه بعد إتقانك أن لا مدخل للجر في الأفعال الخلاص من اجتماع الساكنين وكونها طارئة" (٤٨)

(٤٧) الشافية في علمى التصريف والخط، ص:٦٥

(٤٨) السكاكى، مفتاح العلوم، ١/١٤٥

٦- استقراء الابنية الصرفية:

قال ابن الحاجب في المصدر من الثلاثي المجرّد:" أبنية الثّلاثيّ المجرّد كثيرة، نحو: قتل، وفسق، وشغل، ورحمة، ونشدة، وكدرة، ودعوى، وذكرى، وبشرى، وليان، وحرمان، وغفران، ونزوان، وطلب، وخنق ، وصغر، وهدى، وغلبة، وسرقة، وذهاب، وصراف، وسؤال، وزهادة، ودراية، ودخول، وقبول، ووجيف، وصهوبة، ومدخل، ومرجع، ومسعاة، ومُحَمَّدة، وبغاية، وكراهية [٤٩]"

ونقل ابن الحاجب استقراء الفراء فقال:" وقال الفرّاء :إذا جاءك فعل ممّا لم يسمع مصدره فاجعله (فعلا) للحجاز، و (فعولا) لنجد.ونحو هدى وقرى مختصّ بالمنقوص[٥٠]"

وقد أجمل السكاكى القضايا الصرفية والنحوية معًا المعتمدة على منهج الاستقراء في قوله:" والأصل في التركيب هو نوع الخبر لكثرته وقلة ما سواه بالنسبة إليه بشهادة الاستقراء وتنزيل الأكثر منزلة الكل بحكم العرف لعدم انفكاك حقيقته عن الخبر يجعل أصلا في باب الخبر فيظهر من هذا تمام انصباب الغرض من الوضع على اعتبار الفعل، وإذا تقرر هذان المقدمتان على هذا الوجه بنينا على الأولى منهما الكلام في علة وقوع الإعراب في الكلم وعلة كونه في الآخر وعلة كونه بالحركات. وعلة عدم استكنانه لخروجه إذ ذاك عن الدلالة وعلة كونه في الأسماء دون الأفعال لظهور كون الأسماء مقتضية لذلك من جهة المناسبة لحصول كونها ومتقيدة بما يحتاج عنده في الدلالة عليه وهو معنى الفاعلية والمفعولية وكونها مضافا إليها، وعلة كون الصرف في الأسماء أصلا لتقيدها بما يقتضي الجر كفاه تقيدها بما يقتضي أخويه واستدعاء دخول الجر فيها عدم منع التنوين منها كما ستقف عليه، وعلة كون البناء لغير الأسماء وكونه على السكون أصلا لانتفاء موجب التحريك جريا على الظاهر، وعلة كون الفعل في باب العمل أصلا لظهور كونه داعيا أو كون الداعي معه على الإعراب"[٥١]

ومن خلال هذه النصوص الواردة عند سيبويه(ت/ ١٨٠هـ) والمازنى (ت/ 249هـ) الخوارزمي (ت/ ٣٨٧هـ) وابن جنى(ت/ ٣٩٢هـ) و السكاكى (ت/ ٦٢٦هـ) وابن الحاجب (ت/ ٦٤٦هـ)، يتضح أن الاستقراء التام والناقص قد ورد في الدرس النحوى والصرفى قبل ابن الحاجب تطبيقا عند كل من سيبويه والمازنى وابن جنى،والخوارزمى، وجاء الربط بين التنظير والتطبيق في

(٤٩) الشافية في علمى التصريف والخط، ص:٦٦

(٥٠) المصدر السابق نفسه

(٥١) السكاكى، مفتاح العلوم، ١٤١/١

القرن السابع الهجرى على يد كل من السكاكى (ت/ ٦٢٦هـ) وابن الحاجب (ت/ ٦٤٦هـ)، وقد طبق ابن الحاجب المنهج الاستقرائى ووظفه في التقعيد الصرفى.وكان مفهوم الاستقراء الصرفى واضحًا عند ابن الحاجب.

قالت الدكتورة خديجة الحديثى مشيرة إلى دور ابن الحاجب وجهوده في الصرف واستقراء جزئياته وتصنيف أبوابه وتقسيماته، ووضع مصطلحاته وبيان مفاهيمها ومسائله: " أخذت بحوث الصرف شكلها الأخير على يدي ابن الحاجب، الذي هذب مسائله، ورتَّب أبوابه، وجمع ما تفرق من مسائله في الكتب الأخرى، فكان كتابه "الشافية" من خيرة الكتب التي أخرجت في الصرف من ناحية الإحاطة والتبويب" (٥٢)

الخاتمة وأهم نتائج البحث وتوصياته

الحمد لله خاتمة كل خير، والصلاة والسلام على خير من نطق بالعربية فكان أفصح العرب بيد أنه من قريش، وصلى الله عليه وآله وصحبه وسلم أما بعد، فإن هذه الدراسة قد تناولت

" **الاستقراء الصرفي عند ابن الحاجب بين النظرية والتطبيق: عرض وتحليل"**

ونتج عن هذه الدراسة النتائج الآتية:

أولاً: بينت أن ابن الحاجب لم يخرج عن مفهوم الاستقراء الذى حدده السابقون من النحويين والصرفيين والفقهاء والأصوليين، فالتزم بالمفهوم اللغوى الذى ورد في اللغة وما استقر عليه العلماء السابقون عليه والمعاصرون له بأن المقصود بالاستقراء هو: تتبع الجزئيات واحدة واحدة، ثم الخروج بنتائج حكمية تنطبق على جميع الجزئيات، للوصول إلى حكم عام ينطبق على جميع الجزئيات.

ثانيًا: أكدت أن ابن الحاجب قد أبدع في تطبيق منهج الاستقراء بنوعية التام والناقص. أما الاستقراء التام فقد استخدمه ابن الحاجب في التقسيمات الصرفية من خلال تتبع جميع جزئيات الظاهرة الصرفية ثم حصرها في أنواع ثنائية أو ثلاثية أو رباعية أو خماسية.

ثالثًا: حددت أن مجالات الاستقراء الصرفى عند ابن الحاجب تمثلت في أربع مجالات هي(التقسيمات، والمصطلحات، والتعريفات، والأحكام) واعتمد ابن الحاجب على منهج الاستقراء الصرفى خلال مناقشة هذه المجالات في الدرس الصرفى لديه.

(٥٢) خديجة الحديثي، أبنية الصرف في كتاب سيبويه، منشورات مكتبة النهضة ، بغداد، ط: ١، (١٩٦٥م) ، ص: ٣٩، ٤٠.

رابعًا:بينت أن ابن الحاجب قد بنى كثيرًا من أحكامه الصرفية على استقراء كلام العرب، وتوصل من خلال استقرائه إلى معرفة ما جاء من كلام العرب مطردًا يمكن القياس عليه وما جاء شاذًا أو قليلاً أو نادرًا لا يمكن القياس عليه، وما جاء ليس مطردًا ولكنه كثير وأكثر وغالب في كلامهم يحسن الأخذ به والاعتماد عليه في إثبات الحكم الصرفى أو نفيه.

أهم التوصيات التي خرجت بها هذه الدراسة:

وختامًا توصى هذه الدراسة بما يأتي:

أولاً: أن الاستقراء الصرفى ظاهرة منهجية سلك طريقها النحويون والصرفيون، فوردت في مؤلفاتهم تطبيقًا ولم يتناولها أحد منهم بدراسة تنظيرية في مؤلف يجمع شتاتها.

ثانيًا:أن الاستقراء الصرفى يمكن دراسته في التراث النحو والصرفى لدى النحويين والصرفيين لإظهار أوجه الابداع والاتباع، والقدرة العقلية لهؤلاء العلماء.

ثالثًا: أن الاستقراء الصرفى منهج علمى اعتمد عليه كثير من النحويون والصرفيون ويمكن دراسته من خلال الدراسة المقارنة بينهم من خلال مؤلفاتهم في التراث النحوى والصرفى.

وبعد فهذا جهدي في دراسة " **الاستقراء الصرفي عند ابن الحاجب بين النظرية والتطبيق: عرض وتحليل**"

والله تعالى أسأل أن أكون قد وفقت في عرض وتحليل هذه الظاهرة.

﴿ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ [هود :٨٨]

المصادر والمراجع

- ابن الحاجب، جمال الدين بن عثمان بن عمر بن أبي بكر المصري الإسنوي المالكي (ت: ٦٤٦ هـ)، الكافية في علم النحو، تحقيق : صالح عبد العظيم الشاعر، مكتبة الآداب – القاهرة ، ط:١، (٢٠١٠ م)
- ابن الحاجب، عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، أبو عمرو جمال الدين الكردي المالكي (ت ٦٤٦هـ)، الأمالي، دراسة وتحقيق: د. فخر صالح سليمان قدارة، دار عمار – الأردن، دار الجيل – بيروت، (١٩٨٩م)
- ابن الحاجب، عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، أبو عمرو جمال الدين، الكردي، المالكي (ت/ ٦٤٦هـ)، الشافية في علمي التصريف والخط، تحقق: صالح عبد العظيم الشاعر، مكتبة الآداب – القاهرة، ط: ١، (٢٠١٠ م)
- ابن جنى، أبو الفتح عثمان الموصلي (ت ٣٩٢هـ) ، الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: ١،١/ ٢٦٧
- ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ] المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق : عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط:١، (٢٠٠٠م)
- الأنباري، أبي البركات عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن أبي سعيد (ت: ٥٧٧هـ)، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، المكتبة العصرية: ١، (١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م) .
- الجرجاني، علي بن مُحَمَّد بن علي الزين الشريف (ت: ٨١٦هـ) تحقيق جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان ،ط:١(١٩٨٣م).
- خديجة الحديثي، أبنية الصرف في كتاب سيبويه، منشورات مكتبة النهضة، بغداد، ط: ١، (١٩٦٥م) ،.
- الخوارزمي، مُحَمَّد بن أحمد بن يوسف، أبو عبد الله، الكاتب البلخي (ت: ٣٨٧هـ)، مفاتيح العلوم، تحقيق: إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي ،ط:٢.
- رضا هادى حسونة، الاستقراء الصرفى، مجلة الأستاذ للعلوم الإنسانية والاجتماعية، كلية التربية، جامعة بغداد، العراق، العدد: ٢٠٠، لسنة (٢٠١٢م)

- السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن مُحَمَّد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (ت: ٦٢٦هـ)، مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: ٢، (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م).
- الشاطبي إبراهيم بن موسى بن مُحَمَّد اللخمي الغرناطي (ت/ ٧٩٠هـ) الموافقات، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان الناشر: دار ابن عفان، ط: ١ (١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م)
- الغزالي، أبو حامد مُحَمَّد بن مُحَمَّد الطوسي (ت/ ٥٠٥هـ)، المستصفى، تحقيق: مُحَمَّد عبد السلام عبد الشافي ، دار الكتب العلمية ،ط: ١، (١٩٩٣م)
- الفراهيدى، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت/ ١٧٠هـ) ،كتاب العين، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، القاهرة.
- ماهل، فضل الله النور على، والصديق، مُحَمَّد عبدالقادر، الاستقراء النحوى وعلاقته بالبحث العلمى ، مجلة لعلوم الإسلامية والبحوث الإسلامية، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، معهد العلوم والبحوث الإسلامية، مج/ ١٩، ع، ٢، (٢٠١٨م)